لغة العرب

مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية

﴿ الجزء ٤ من السنة ٦ عن نيسان سنة ١٩٢٨ ﴾

بي بروا (١)

Bi-Perwa.

في كتب مشاهير الرجال ونوابغهم ، لا نرى اثرا لمن نبه من اصحاب المهن والصنائع والفنون؛ ولا نقرأ شيئا عن اولئك الرجال الذين كان لهم منزلة عظيمة في طبقتي الامة الوسطى والدنيا ، كما لا نجد وصف البيئة لتلك الايام فيما كلها وشربها ، وانسها ، وسكنها ، وفرحها ، وحزنها ، الى ما ضاهى هذه الحالات .

على اننا اذا قلنا : لم نر ، ولم نجد ، ولم نقرأ ، فليس معناه التعميم والاطراد الذي لا شاذ فيه ، فقد وجدنا في ايام العباسيين رجالا تصدوا لمثل هذه الابحاث ، لكنهم يعدون على الاصابع ، بالنسبة الى ما دون في سائر المواضيع والمعاني . فلقد كتب لنا ابو الفرج الاصفهاني ، والجاحظ ، والقاضي التنوخي ، امورا يحسدهم عليها ارقى الامم في عهدنا هذا .

ونحن الان في عصر تولي فيها العادات والاخلاق والبيئة العربية وتدبر ادبارا لاعودة لها اليها ومع ذلك ليس من يفكر في هذا الانتقال فيدون ما يراه اليوم ليكون سندا يعتمد عليه الجيل القادم في ما كان في هذا العهد .

ولقد انتبه الى هذا الشأن الخطير حضرة المفكر الاجتماعي احمد حامد افندي

(١) بي بروا علم رجل درويش منقول من كلمتين فارسيتين معناهما : بلا (بي) خوف (بروا) اوبلا تكليف ومعناهما ايضا الشجاع والحر في اعماله او كما يقول الفرنسيون :
Un homme sans gêne, sans façon.

آل الصراف . فاخذ يطرف القراء بما يلاحظه في هـذا الموضوع والفضلاء يطالعون هذه المباحث بشوق عظيم . ان في ديارنا الشرقية وان في الديار الغربية ويستزيدونه منها .

واليوم يهدي الى هذه المجلة موضوعا من الذ المواضيع وهو ترجمة احـد « الدراويش » الذين كان يرى مثلهم في بغداد قبل نحو خمسين سنة مئات ومئات يجولون في الطرق والاسواق ليستعطفوا الناس عليهم ويستثروا حسناتهم . وفي الوقت عينه يعرفنا بحالة ابناء المجتمع في البلاد التي مر بها المترجم ومعقليتهم ونفسيتهم» وسلطة بعض طبقات الناس على بعضها الاخر . ولهذا تعد هذه الترجمة من افخر ما كتب في هذا المعنى . ومما يجب ان يحتذى عليه اذ هي المثال الاعلى في هذا الموضوع . قال حفظه الله: (لغة العرب)

رجعت في الليلة العاشرة من شهر تشرين الثاني ١٩١٩ الى بيتي الواقع في حارة « باب بغداد » في كربلاء وهي حارة ضيقة الازقة . ينيرها بصيص من ضياء الفوانيس القديمة المعلقة على جدران البيوت . وكانت الليلة ظلماء حالكة الاديم . خلت سماؤها من قمر مضيء ، وكوكب لامع : فركنت الى غرفتي وكنت تعبا ضجرا ، مهموما افكر في العبء الثقيل الـذي القي على عاتقي وهو عبء المدرسة الاميرية إذ كنت مديرها . وكان المعلمون السبعة الذين عينوا لها من الاعاجم ؛ فكان فيها الشاهرودي والطهراني والشيرازي والرشتي .

وكان في كربلاء ثلاث مدارس فارسية تزاحم مدرستي وتسعى الى القضاء عليها . وكنت ارى بعيني ابناء العرب الاقحاح من العلويين والهاشميين يؤمون المدارس الاعجمية هناك ، حيث يدرسون التاريخ الفارسي والاداب الفارسيـة ويهتمون بذكر طهمورث وجمشيد وكسرى . وقد تغيرت سجاياهم العربية وتبدل احساسهم وتطورت عوائدهم والفوا الفارسية بدلا من العربية .

وكان حاكم كربلاء اذ ذاك رجلا فارسيا عينته السلطة الانكليزية اثناء الاحتلال ، وكان داهية ، شديد النعرة الفارسية كثير الرغبة في انهاض المدارس الايرانية ، قليل الاهتمام بالمدرسة التي كنت مديرها . إلّا فترات كان يجامل بها الاهلين ، وكادت كربلاء اذ ذاك على شفا جرف هار ، اذ كادت تنقلب بلدة فارسية .

وكانت هذه الحوادث المؤلمة تثير اعصابي وتزيد في آلامي وكنت في تلك الليلة الـ ١٠ من تشرين الثاني ١٩١٩ — افكر في الطرق التي انقذ بها المدرسة العربية من تلك المخالب .

فقضيت ساعتين تارة افكر وطورا اقرأ ما تيسر لي من الكتب حتى دقت الساعة الرابعة عربية ليلا . فساد الصمت وانقطعت اصوات النائحين والباكين في التعازي والمآتم . واذا صوت رخيم رقيق أشبه برنين الجرس قد انبعث من طيات ذلك الليل الهادئ منشدا :

يا شام غريبان يا إمام رضا(١)

وكانت تلك النغمة التي لم تكن إلا نغمة النأي الحزين قد اهاجت بلابلي واثارت كوامن شجوي ، فانتفضت انتفاضة المتكهرب ورفعت باب الكوة المطلة على الطريق ، وملت بكل جوارحي الى الجانب الذي جاء منه ذلك الصوت الرخيم وبعد بضع ثوان سمعت تنشيدا بنغمة فارسية : « دوست علي مولا جانم » ثم انطلق يتغنى باشعار فارسية لم استطع ضبطها فعلمت من النغمة ومن هذه الكلمات انه « درويش فارسي» . فقلت : بابا درويش بفرما اي تفضل ايها الدرويش — فجاء يمشي الهوينا حتى وقف تحت « الفانوس» فتبينته ثم رميت له قرانا (نقدا فارسيا يساوي نصف فرنك ذهب) لم يعثر عليه إلا بشق النفس . وقلت له :

اي مرشد بخوان — اي اقرأ ايها المرشد . فقال چشم .

فقرأ بنغمة الافشار (٢) قصيدة من ابدع قصائد الشاعر الشهير سعدي الشيرازي وقد ضبطت — وانا في غرفتي — بيتين منها :

شرف مرد بجود است وكرامت بسجود
هركه إين هردو نداره عدمش به زوجود
اي كه در نعمت وناز بجهان عره مشو
كه مجالست در اين مرحله إمكان خلود

معناها : شرف المرء بجوده وكرامته بسجوده لله ومن لم يملك هذين

(١) اي يا ايها الامام رضا معشى الغرباء ومضيفهم .
(٢) الافشار مقام فارسي والبغداديون يسمونه اوشار .

كالامرين كان عدمه احسن من وجوده يا ايها المتنعم المدلل لاتغتر بهذه الدنيا اذ من المحال الخلود في هذه المرحلة (الحياة).

ولما اتم انشاد القصيدة ، رميت له قرانا آخر وقلت له :

شعرعربي ازبر داريد ؟ يك قصيدة عربي بخوان — اي : أتستظهر شعرا عربيا . اتل قصيدة عربية. اجابني قائلا: بيرشي(١)

ثم قال بلي قربان ازبر دارم اي نعم عزيزي اني استظهر ذلك فانطلق ينشد كالبشارة الناشحة قصيدة :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ، حتى جاء على آخرها .

وقد احدثني ثورة من ثورات المغرم حين يهزه الوجد فقلت له : شام نميخواهي آيا كرسنه نيستي(اي الا تريد ان تتعشى)؟ الست جوعان ؟فسكت فعلمت انه جوعان فصرخت على الخادمة وقلت لها ان تفتح الباب ففتحته له فصعد الي ودخل متأدبا وحياني قائلا : سلام عليكم .

عليكم السلام بفرما آغاي مرشد فجيء له بالطعام ، فأكل بتؤدة ثم غسل يديه ، وشكر الله ، ودخن دخينة (سيكارة) قدمتها اليه وكان ينظر إلي اثناء تدخينه اياها نظرة الخائف الوجل وابتدرني سائلا : جناب عالي مأمور دولتي ؟ اي: أجنابكم موظف حكومة ؟ قلت له نعم . ثم طلبت اليه ان ينشدني شيئا من الشعر العربي والفارسي . واخذت اليراعة والقرطاس لادون ما ينشدني فترنم بالابيات الفارسية الآتية وقد ضبطتها من فمه :

آن يار كه بي وفا است دشمن به ازوست
وآن نقره كم بهاست آهن به أزوست
هركس كه نمك خورد نمكدان شكند
در مذهب رندان جهان سك به أز وست

اي : العدو احسن من حبيب أو صديق لا وفاء له ، والحديد احسن من فضة لا قيمة لها . ومن اكل الملح وكسر المملحة فالكلب اشرف منه بمقتضى مذهب العقلاء الحكماء في الحياة .

(١) اي لتكن شيخا بمعنى ليطل عمرك وهو إصطلاح فارسي .

يشير الى انه اكل من نعمتي وهي نكتة اديب واستشهد اريب ثم انشدني قصائد لحافظ الشيرازي وخاقاني ومنوجهري وغيرهم من شعراء الفرس .

ثم قرأ لي بيتين بلكنة اعجمية وهما :

انبتت سبابتكم	غرحة على كبدي
بت من تفجئكم	كالاسير في السفد
اي : انبتت صبابتكم	فرحة على كبدي
بت من تفجعكم	كالاسير في الصفد

ثم انقطع عن النشيد فسألته عن اسمه وعن اسم بلده . فقال اسمي ابو القاسم ولقبي « بي بروا » وبلدي « شيراز » . فقلت له: متى صرت درويشا ؟ ولماذا فضلت هذه الحياة ؟ وماذا كانت مهنتك وعملك قبل ان تكون درويشا ؟ فلم يجبني بشيء فالححت عليه كثيرا . وكررت عليه السؤال . فقال لي « عشق است » اي — العشق — (١) إلا انني لم اقتنع بهذا الجواب وكررت عليه السؤال وطلبت اليه بالحاح ان يجيبني فقام على قدميه وقال متأدبا: آغا خيلي دير كردم ان شاء الله وقت ديكر خواهم كفت اي سيدي اني تأخرت وسأحدثك ان شاء الله في وقت آخر فدعوته الى ان يأتيني في الليلة الثانية فودعني وانصرف . وانصرفت عني كل همومي وكانت الساعة الخامسة تماما .

ابو القاسم بي بروا

كان الدرويش بي بروا شيخا قد اجتاز الكهولة ، ربعة ، اشقر اللون ، ازرق العينين ، ذا وجه مستدير احدثت فيه الآلام غضونا ، واورثت فيه تجعدا ، ذا لحية طويلة صفراء وخطها المشيب ، ذا شعر طويل كشعر النساء لهزه البياض .

اما ثيابه فلم تكن اسمالا اخلاقا ، وكانت نظيفة وهي عبارة عن قلنسوة طويلة (كلاه) من اللبد الاصفر ، مشدود في وسطها حزمة من خيوط ومقسية طويلة قد اختلطت بشعره ، عليه قميص من الصوف فوقه جلد معز طويل وجراب طويل وقدوم ثمينة مزخرفة بنقوش وابيات فارسية وعلى ظهره كشكول .

تدل ملامحه وحركاته على انه لم يكن من اولئك السفلة الشحاذين . ثم بدا

(١) ليس معنى العشق هنا الغرام بل الميل وهو من اصطلاح الدراويش .

لي ان ادون بعد هذا اليوم ، ما يقع لي من امر هذا الدرويش وما يتعلق به فكتبت يومئذ في مذكرتي ما اعيد صورته الى القارىء .

طلعت شمس اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٩١٩ فذهبت الى المدرسة وقمت بواجباتي وخرجت منها من الساعة الحادية عشرة غروبية وذهبت توا الى بيتي فانتظرت الدرويش الى الساعة الخامسة عربية فلم يأتي ثم يئست من مجيئه ولما اعياني السهر نمت .

١١ تشرين الثاني

خرجت من بيتي عند انبلاج الفجر وتجولت في الحضرة الحسينية والعباسية (٦) لعلي اجد الدرويش فلم ارَه ثم ذهبت الى الخيمكاه وهو مأوى اكثر الدراويش الفقراء فلم اصادفه . فذهبت الى المدرسة وارسلت خادم المدرسة (حمزة) ليفتش عنه فجاءني بعد بضع ساعات وقد طاف في المدينة فلم يلاقه .

صرفت التلامذة في الوقت المعين وخرجت الى الحضرة الحسينية حين طفول الشمس ولما دخلت الصحن من باب القبلة رن في مسمعي صوت الدرويش فاسرعت اليه فوجدته قد رفع قدوره على كتفه ووضع كشكوله على مرمر الصحن ووقف حاسر الرأس منشدا شعرا في مدح الحسين الشهيد (عليه السلام) وقد اجتمع حوله الناس على شكل دائرة رجالا ونساء وشبانا وهم بين باك ومتباك وقد ملأوا كشكوله من كل ما شاؤوا .

ووقفت امام الدرويش (بي بروا) ولما وقع بصره علي امتقع لونه وتلجلج فخرقت الصف ورميت له ربية واحدة في كشكوله ولما اتم نشيده دعا للحاضرين بالخير والبركة وطول العمر على عادة الدراويش ثم قرأ الفاتحة ورفع كشكوله من الارض وانصرف موليا وجهه شطر السوق من غير ان يلتفت الي فتقصصت اثره ثم تعرضت له في السوق وسلمت عليه قائلا بلهجة المعاتب :

اي مرشد بكيا تشريف ميبريد ؟ (الى اين تذهبون ايها المرشد ؟ فوقف الدرويش وقفة المتحير في امره فعلمت في تلك اللحظة القصيرة انه ارتاب مني

(٦) الحضرة الحسينية هي صحن جامع مرقد الحسين . والعباسية هي جامع مرقد العباس ابن علي بن ابي طالب (ع) .

ومن شكلي ولباسي وطربوشي وظن انني موظف امرت بالبحث عنه فمسكته بيدي وعرفته باني مدير مدرسة من خدمة العلم والادب، ويلذ لي معاشرة الدراويش وصحبة الفقراء وان صوته الرخيم وحفظه الشعر الكثير حببه الي واقسمت له واغلظت له الايمان موكدا له صدق ما اقول . فاطمأن وهدأ روعه فاخذته رأسا الى بيتي .

ليلة ١٢ تشرين الثاني

ولما اختلط الظلام قام وتوضأ وصلى صلاة المغرب ثم تعشينا معا وبعد ان دخن عدة دخينات (سيكارات) انفرج يغني شعرا فارسيا دون ان اكلفه وكان غناؤه اوقع في قلبي من نغمات الارغن ونقرات العود ولم اشأ ان اسأله في تلك الليلة عن سبب تفضيله هذه الحياة على حياة العمل لئلا يرتاب مني مرة اخرى فينقطع وانا حريص عليه جد الحرص . ولما مضى هزيع من الليل ودعني وانصرف بعد ان نفحته ربية اخرى ورجوته ان يزورني تلطفا .

ليلة ١٣ تشرين الثاني

جاءني الدرويش في هذه الليلة وقد اكثر من تلاوة الشعر بنغمته الفارسية الرقيقة .

لم يزرني الدرويش في ليلة ١٤ و١٥ و١٦ من شهر تشرين الثاني .

١٧ تشرين الثاني

زارني الدرويش بي بروا في مدرستي ففرحت به ورحبت به كثيرا وعاتبته طويلا على انقطاعه عني ثلاث ليال سويا فاعتذر مني وقال انه لم يبرح « الخيمكاه » ثلاثة ايام اذ انتابته الحمى خلالها فتحادثنا طويلا في الشعر ونقلت في مذكرتي بضع مقطوعات شعرية ثم ودعني وانصرف ووعدني بان يزورني في تلك الليلة .

ليلة ١٨ تشرين الثاني

جاءني الدرويش وكان فرحا مبتهجا فاخبرني بانه تشرف بزيارة قبر المجاهد الشهيد الحر بن حرب الرياحي راجلا ثم جلس مطمئنا وقال انه سر كثيرا بزيارته كربلاء، وانه جئل بمعاشرتي . وبعد العشاء طفق يغني شعرا غراميا للشاعر حافظ الشيرازي . ولما اتم انشاده سألته عن سبب تفضيله شعر حافظ على شعر غيره

فسكت قليلا ثم أن انة الغريب الكئيب . وقال احب حافظا لانه نبت في وطني ونشأ فيه . ولان شعره يذكرني ببلدتي شيراز الجميلة فقلت له : اتحبها وتحن اليها ؟ فقال ان كنت تسألني لكوني درويشا فاقول اني لا افضل مدينة على اخرى وكل بلاد الله وطني . وكل أهل الارض اقاربي لافرق بين العربي والعجمي والهندي والتركي . إلّا اني مع ذلك احن الى شيراز . لانها ملعب صباي . ومراح شبابي وفيها قبور امي وابي وزوجتي وعشيرتي ثم قال وقد ترقرق الدمع في جفنيه :

حه را بلبل آنشيانة خودرا دوست ميدارد وإنسان وطن خودرا دوست نميدارد.

اي : لماذا يحب البلبل عشه ولا يحب الانسان وطنه .

فقلت له : ومتى فارقت مدينة شيراز ؟ فقال وقد انحدرت دمعة من مآقيه على خده : لم اطأها منذ اربعين سنة على التقريب .

لماذا ؟ وما السبب ؟ فقال بعد ان تنهد طويلا : انك قد سألتني قبل بضعة ايام فلم اشأ ان اقص عليك حديثي . خشية منك . لاني ارتبت كثيرا في امرك وخفت ان يصيبني في «كربلاء» ما قد اصابني في «بيروت» وذلك انني وطئت بيروت اثناء الحرب فذقت فيها عذاب الهون وعانيت الوانا من المصائب والرزايا وكان اطفالها يركضون خلفي ويحصبونني ويمطرون علي وابل الحجارة .

آغا شهر بيروت پر أز فرنك بود . اي ومدينة بيروت ملأى من الفرنك (١)

وقد تعرفت بفتى من اهل بيروت اخذني الى بيته واطعمني وسألني عن سباحاتي فقلت له اني جئت من الهند على طريق ايران وفي اليوم الثاني قبض علي شرطي طويل القامة وقادني الى دار الحكومة ثم زجني بالسجن ثم طلبوني واتهموني بالتجسس . بلي اغا جسان ما را كوتك زدند خيلي جوب زدند فرياد كردم قسم خوردم كه من درويشم غريبم كوش ندادند زدند وزدند تحمل كردم خدارا شكر كردم .

نعم ياسيدي فقد ضربوني وجلدوني بالسياط صرخت كثيرا وحلفت لهم بانني درويش غريب فلم يصغوا الي ثم ضربوني وضربوني فتحملت وشكرت الله.

(١) والفرنك في عرف العجم كل من يضع على رأسه القبعة الافرنجية .

ثم اطلقوني وقد مرضت واشرفت على الهلاك وكنت اقضي ايامي في احد المساجد ثم تعرفت بصاحب « قهوة » وكان مسلما من الاخيار الطيبين فكنت اغني نهاراً في قهوته ، وانفخ بالناي ، فكان يطعمني .

ولما عاد الي نشاطي وصحتي تركت بيروت وما فيها من ظلم وعسف وجور ، واتيت الى الشام ثم سافرت الى بغداد ومنها الى طهران .

بلي قربان ! خيلي اذيت كشيده ام — لقد عانيت الاذى ، ولهذا السبب خشيت ان اقص عليك حديثي ، وانقطعت عنك وقد سألت عنك فعرفت انك من الاخيار والان اقص عليك حديثي واكلمك عن السبب الذي دفعني الى ان اكون درويشا :

حياة ابو القاسم بن يروا

وكانت الساعة الثالثة من الليل ، فجيء باكواب الشاي فشرب الدرويش ثلاثة اكواب ، ومسك قدومه بيده ووضعها بجانب الكشكول ، واخرج من جيبه مشطا من خشب الابنوس واخذ يمشط لحيته الطويلة الصفراء ، ويرجل جعد ذوائبه الطويلة ثم نظر الي نظرة طويلة وقال :

اي جوان ! اي نور ريدنمن ! بنجاه سال دارم ازفلك بي رحم خيلي ستم ديدم بلرم درشيراز كارباس فروش بود — اي ايها الفتى يا نور عيني عمري خمسون سنة ، وقد شاهدت ظلما من هذا الفلك الظالم . ابي كان في شيراز « بزازاه » وقد قرأت في صباي القرآن وقرأت على « لاخند » أي (الملا) النحو والصرف والمنطق وقرأت الفقه ، وحفظت كثيرا من كلستان سعدي الشيرازي وديوان حافظ الشيرازي .

بلي قربان ! خيلي حفظ داشتم اكنون يك كمي ميدانم از مبتدا وخبر ونواصب وقضية صغرى وكبرى بير سيد الحمد لله شما از اهل عرفان هستيد . اي كنت احفظ كثيرا والان ايضا اعرف قليلا . سلني عن المبتدإ والخبر والنواصب وقضايا المنطق في الصغرى والكبرى . الحمد لله انت من اهل العرفان

وكان والدي يحبني ويعزني كثيرا ، لاني كنت ولده البكر وكان يهتم بي ويعتني بتربيتي اكثر من اخي الصغير . ولما بلغت الخامسة عشرة اخذني والدي

الى الدكان لاعيته . وكان لي عم توفي هو وزوجته وترك ابنته الصغيرة ، فاخذها والدي الى بيتنا .

وهنا زفر الدرويش زفرة شفت عن الم عميق ، واسترسل في حديثه وكانت ابنة عمي جميلة الخلق والخلق : مهتاب بود ستارهٔ آسمان بود ! . كانت قمرا وكانت نجم السماء ! وكنت احبها حبا جما ، وكانت هي تحبني ايضا حبا عظيما ولما بلغت العشرين زوجني اياها والدي واقام الافراح والولائم .

وهنا تغيرت لهجة الدرويش حالا واخذ صوته يتقطع ويرتجف ارتجافا متواليا ويرتعد جسمه ويهتز اهتزاز شجرة الصفصاف . وقفت شعرات لحيته الطويلة ؛ فرمى السيكارة من يده وقال : وبعد مرور شهر واحد مرضت زوجتي مرضا لم يدم إلا يومين حتى ارداها . ثم استخرط في البكاء وهو يدمدم دمدمة الهائج الحزين المغلوب على نفسه .

اي خدا وندكار ! چه كويم ؟ ايها الرب ماذا اقول ؟ ثم اخذ يزبد ويرعد ويرغو رغاء البعير وتدفقت دموعه حتى بللت خده ونحره . واخضلت لحيته وقد طال بكاؤه وانينه ساعة من الزمن ، الى ان نفدت عبراته وملت نفسه الانين ولما انتهى دوره جاء دور السماء فانهطرت وابل الدموع فقمت وانا حيران في امر هذا الدرويش الباكي الحزين وقد علمت يقينا انه فجع بموت حبيبته .

اي مرشد خواهش دارم إمشب در إين اوتاق بخو ابيد تاريكي وباران بيرون آمدن خيلي سخت است . ايها المرشد ارجوك ان تنام ليلتك في هذه الغرفة [اذ اليوم لا يرى إلا] ظلام ومطر [ولهذا كان] الخروج عليك صعبا جدا .

فانطرح الدرويش على الارض وخرجت من الغرفة فذهبت الى مخدعي ونمت نوما متقطعا ولم يغمض جفناي إلا قبيل الفجر .

١٨ تشرين الثاني

انتبهت على صوت الدرويش وكان يتلو دعاء في العربية بنغمة مشوبة بلكنة اعجمية فدخلت عليه في الغرفة فقام في وجهي متأدبا وقد ظهر الخجل

على عياله .

سلام عليكم ، « سبحكم » الله بالخير اغا جان بيخشيد وبشب خيلي بي ادبي كردم ماوا بيخشيد خيلي دلتنك بوده ام .

سيدي ، اعذرني قد اسأت الادب ليلة امس اعذرني فقد كنت حزينا متألما. فهششت له وابتسمت بوجهه وقلت له : اني آسف لاني انا الذي ذكرتك بتلك الذكريات المؤلمة ، وجددت لك حزنك ، وانت معذور في بكائك ، لفقدانك زوجتك التي كانت عزيزة عليك . ثم فطرنا معا وخرجنا من البيت . فذهبت الى مدرستي وفارقته في السوق وقد وعدني بالمجيء الى بيتي . ولما خطوت بضع خطوات اندفع ينشد في السوق بهزيج اوقع في القلب من نغمة المزمار :

« جان علي جان علي جان ، اي امير المؤمنين اسد الله جانم » .

ليلة ١٩ تشرين الثاني

جاءني بي بروا في الساعة الثانية ونصف عربية من الليل واعتذر الي مرة اخرى فقلت : انما انا يجب علي ان اعتذر اليك لاني انا الذي اثرت آلامك واحزانك . كلنا ايها المرشد العزيز نموت ، ولا يبقى إلا وجه الله الكريم . وقد مات الانبياء والاولياء والاحباء والائمة والعلماء قبلنا فالموت نصيب الانسان والمنية مورد كل حي .

فابتسم وقال : بلي قربان خدا كفت . « كل نفس زائقة الموت » اي « كل نفس ذائقة الموت »

اني كنت ليلة امس كالمجنون ، فقد تذكرت والدي وامي وزوجتي وبلدي شيراز ولهذا السبب ازعجتك كثيرا . وكانت المصيبة التي نزلت بي عظيمة جدا. وهي التي اخرجتني من اهلي ودفعتني الى الدخول في طريقة الدراويش ، فتغربت عن وطني اربعين عاما ، قضيتها في التسول والتجول في ايران والهند والصين وسبعي الاسم الاخير — چين ما چين — وبلخ وبخارى وهراة والغوغاس (كذا) والاسلامبول (كذا) والشام والبيروت (كذا) والمكة (كذا) ومدينة (كذا) وبغداد (كذا) وقد عانيت الاما واوجاعا وعذابات كالحبس والجلد والجوع

والبرد والحر . وقد صاحبت خلال هذه السنوات اناسا كانوا اخبث من الشياطين والابالسة . وعاشرت السفلة من الدراويش السفهاء. فأهانوني وسرقوا اشيائي وحسدوني لاني احفظ منهم شعرا واعذب منهم صوتا وكان المؤمنون يتصدقون علي . وكثيرا ما كنت ارجع عند المغرب وكشكولي مملوء دراهم .

خيلي نياز داشتم — كان محصولي كثيرا .

أي لعنت خدا بان روي كه بدتر از روي إبليس بود لعنت بآن ناغلا ، آن نامرد ، بي مذهب بي دين بي حيا !

الا لعنة الله على ذلك الوجه الذي كان ابشع من وجه ابليس ! الا لعنة الله على ذلك الزنيم النغل الذي لامذهب له ولا دين ولا حياء !

ماتت زوجتي فحزنت عليها ، ثم مرضت واصابني هزال وذهول !

بيمار أفتادم بدرم خيلي اطبا آوردند دوا دادند خوب نشدم تب لازم داشتم.

وقعت مريضا وقد جاء ابي بالاطباء ، وصفوا لي علاجا فلم اكسب صحتي وكانت معي حمى ملازمة .

وقد اشار بعض اصدقاء ابي عليه ان يعرضني على درويش كان ظاهره يدل على انه كان زاهدا تقيا دينا ، فجاء به والدي فكتب لي ادعية لتحرق تحت ثيابي، وكان موسم الربيع وقد طاب الوقت ،ورق النسيم،وبرزت براعم الاشجار واخضرت الاغصان . وتفتحت اكمام الورد والازهار . وتغنت البلابل ، فكانت شيراز جنة تجري من تحتها الانهار فرجع الي قليلا من نشاطي وكان ذلك الدرويش الملعون يأخذني في كل صبح ومساء الى البساتين والجنات والى الارياض المبسطة بشيراز فكنا نجلس الى الجداول الصغيرة ونتفيأ ظلال الاشجار الخضراء. وكان ذلك الدرويش ذكي القلب ، لبقا فتيق اللسان ، اريحي الطبع ، رقيق الصوت ؛ بارعا في ايراد النكات حافظا للشعر ؛ إلا انه كان خبيث الروح ، خداعا مكارا ، طماعا ، لا ذمة له ولا ضمير ولا وفاء. وكان ينشدني شعرا في مدح امير المؤمنين وآل الرسول ؛ وقد صحبته شهرين متتابعين حتى تعلقت به ولم يكن في وسعي ان افارقه يوما واحدا .

وكان ابي لا يبخل عليه بتومان (من نقود ايران) في كل ثلاثة ايام ذلك

فضلا عن الثياب والطعام .

وكان ذلك الدرويش يقص علي احاديث اسفاره وسياحاته وكان يحبب الي السفر ويحضني عليه ويرغبني في دخول مسلك الدراويش حتى اقنعني . فاتفقنا على السفر على ان تكون وجهتنا مدينة الامام المعصوم علي بن موسى الرضا اي خراسان .

فقاتحت ذات يوم والدي بالامر وبينت له رغبتي في زيارة الامام المذكور فأبى ورفض طلبي رفضا باتا ؛ وكان يخشى علي من السفر ومن نوائب الدهر ؛ فأشار علي الدرويش بان اتظاهر بالمرض فلزمت فراشي بضعة ايام فتحير والدي في امري وشاور صاحبي الدرويش فاشار عليه ان يوافق على سفري قائلا : ان ابنك على خطر .

اما شيطون بود،حرامزاده بود ــ كان شيطانا وكان زنيما فرفض والدي طلبي وزجرني فدخلت ذات يوم غرفة ابي وسرقت منها مائة تومان فسافرت مع الدرويش تحت جنح الظلام ووصلنا خراسان ونزلنا في احد الخانات . وكنت اصرف عليه من الدنانير التي كانت معي وكان يأخذني بعد زيارة الامام كل يوم الى محل يأوي اليه الدراويش فعرفني بهم ولا سيما (البير) فأخذوا دراهمي مني اذ قال لي (البير) انه لا يجوز للدرويش ان يحتفظ بالدراهم . وجمع ذات يوم (البير) كل الدراويش وطبخ لهم «شلة قلندران(١)» وبعد ان اكل الجميع امرني ان اتعرى فامتثلت الامر وسكبوا على رأسي اربعة عشر طاسا من الماء البارد (آب قدرت) ومزا الى الاربعة عشر معصوما . وقد زعم (البير) انني تطهرت من الدنس والرجس الدنيوي ثم علمني (البير) تلاوة القصائد في مدح آل البيت بنغمة الدراويش واعطاني قلنسوة « كلاها » وقدوما وكشكولا وبعد ان تمرنت وحفظت الادعية وكيفية الاستجداء اخذني (البير) مرة الى السوق ليمتحن صوتي والغائي وجرأتي فتجولت في اسواق خراسان وازقتها منشدا شعر افي مدح الامام علي بن موسى الرضا . فاجتمع علي الناس وملأوا كشكولي دراهم حتى ان احد التجار نفحني تومانا واحدا لان جودة صوتي

(١) ارز مطبوخ مع بعض القطاني كالماش والعدس وغيرهما .

وماء حسني الرقراق كانا يؤثران في نفوس القوم .

رجعت مساء الى المأوى فاخذ (البير) جميع ماحصلته من الدراهم في ذلك النهار واطعمني ما اطعم الدراويش فبقيت على تلك الحالة مدة شهرين ، تعلمت في خلالها الادعية والقصائد والاسرار وكان ذلك البير رجلا صالحا طيب القلب ، عفيف النفس صمم يوما على السفر وشد الرحال الى طهران واناب في مكانه الدرويش الذي صحبني من شيراز الى خراسان وكان رجلا ماكرا خبيثا يستعمل الافيون .

رجعت مرة الى الخان الذي يأوى اليه الدراويش . اغادر آن روز خيلي نياز داشتم . وكان محصولي كثيرا فأخذ ما كان معي من الدراهم . ولما جن الظلام جاء ذلك الماكر الملعون الى غرفتي وجلس الى جانبي وأخذ يحادثني على عادته فشكوت اليه فراق ابي وامي واخي . فقال ، وقد برقت عيناه من المحال ان ترجع الى شيراز ، او تترك الدروشة وان حدثتك نفسك بترك الطريقة تقتل لا محالة . وكان قد مضى الهزيع الثاني من الليل . وكان الخان الذي يلجأ اليه الدراويش بعيدا عن البلدة نحو فرسخ واحد . وهو وقف احد الاخبار على الفقراء وكان خاليا ليس فيه احد سواي والدرويش ودرويش آخر كان مريضا يعاني سكرات الموت . وكان ذلك الدرويش اللعين نائما بجنبي وعند منتصف الليل انتبهت مذعورا اذ قد وجدته يدب الي .

ثم ضحك الدرويش (بي بروا) ضحكة الساخر المتهكم وقال : بدرسوخته خيلي بي حيا بود . كان ابن المعروق قليل الحياء ... ولهذا سئمت من البقاء معه واخذت عروضي وخرجت بها من ذلك المأوى بعد ان ضربته ضربا وجيعا .

وذهبت توا الى ضريح الامام علي بن موسى الرضا (ع) ونمت عند عتبة الصحن الشريف مع الفقراء والمساكين ولما انبلج الصباح لجأت الى داخل الضريح وصليت وصممت على السفر الى بلدي شيراز فذهبت في الحال الى السوق وبعت ادوات الدروشة مثل القدوم وابتعت ثيابا معتادة ورجعت الى الصحن . ولما وصلت الى عتبة المزار المقدس شعرت بضربة عصا غليظة على ظهري فنظرت واذا الدرويش الذي اشبعته امس لكما وضربا مع جندين وجمع من ذوي العمائم السوداء والبيضاء . فصاح الدرويش « بكريد إين كافر بابي را » اي « خذوا هذا الكافر

البابي فمسكني الجنديان وشدا وثاقي ثم انهال علي الناس يضربوني بعصيهم وأيديهم واحذيتهم وحصبني الاطفال عند مروري في السوق وبعضهم كان يبصق في وجهي وكنت اصرخ واستغيث وأقسم الايمان واغلظ في القسم متبرئا من البابية وليس من مجيب او مغيث وكان احدهم يصرخ : اقتلوا هـذا الكافر الوقح والاخر يقول احصبوا هذا الغراب . ارجموه بالحجارة حتى يموت وكانت الجموع تتدفق تدفق السيل لتنال الاجر من الله في ضربي واهانتي . وفي اثناء هذا الهياج رأيت احدهم يشق الصفوف حتى دنا مني وخاطب الجنديين والناس قائلا كفوا عن ضرب هذا الفتى وارحموا هذا المسلم الا تسمعون انه يتبرأ من البابية فلعل الـذي وشى به كان كاذبا ثم قال لهما : انكما ان لم تمنعا الناس عن ضربه وظهرت براءته يصبكما عقاب من الحكومة : فضلا عن عقاب الله وسخطه فلما سمع الجنـديان كلامه فرقا الجموع ومنعا الناس عن الدنو مني إلّا ان ذلك الدرويش الملعون كان يصرخ بالويل والثبور ويركض تارة امامي وطورا ورائي يلطم صدره ورأسه ويقول واد يناه ! واحمداه ! واشريعتاه !

ساقني الجنديان الى بيت اكبر عالم في طوس والناس يقتفون اثري ولما دخلت الدار شاهدت في فنائها نيفا وخمسين رجلا من المعممين وقد توسطهم رجـل ذو عمامة بيضاء يلوح الوقار على سيمائه فعلمت انه المجتهد فاسرعت نحوه واكببت على يده اقبلها وقلت باعلى صوتي « لا آله إلّا الله محمد رسول الله علي ولي الله » .

جناب اغاي آية الله حجة الاسلام والمسلمين من مسلمم غريبم بابي نيستم شيعه ام الحمدلله .

اي : يا آية الله وحجة الاسلام والمسلمين انا مسلم وغريب ولست بابيـا انا شيعي والحمد لله ثم انحنيت على رجله اقبلها وتلوت الشهـادة مرات وكنت على وشك ان الفظ انفـاسي الاخيرة من شـدة الم الضرب الذي لحقني فامر المجتهد ان احبس في بيته فاخذني الخدم الى سرداب مظلم كادت الرطوبة تقوض اركانه وتهدم حيطانه وعند الظهر جاءني احد الخدم ورفسني برجله وسبني ووضع امامي كوزا من الماء ورغيفا من الخبز اليابس وصحنا فيه (آش) (١) ولما كان

(١) حساء .

المساء جاءني الخدم وقادوني الى غرفة طويلة مؤثثة بالسجاد النفيس في صدرها المجتهد عفوفا باعوانه المعممين فقبلت يده بأدب فامرني بالجلوس فجلست واجهشت بالبكاء ثم لمحت شخصا مقيدا مغلولا جالسا في آخر الغرفة وقد بانت عليه آثار التعذيب والجلد وكان نحيفا مهزولا يئن انينا خفيا ويردد انفاسا سريعة فقال له المجتهد ألم تزل مصرا على ضلالك وغيك وكفرك والحادك فاجابه برباطة جأش اني مصر على يقيني واعتقادي الصحيح وعلى ديني وايماني وانتم المصرون على ضلالكم وغيكم . ولما اتم كلامه ماج الجالسون وهاجوا وتطاير الشرر من عيونهم وصرخ المجتهد بخدمه وقال لهم (بزنيد سخت بزنيد) اي اضربوه اضربوه شديدا فجر ذلك البائس على وجهه والسياط تنوشه كوقع الصيصية في النسيج . اما هو فكان يكثر من النداء ياصاحب الزمان (بلى آغا دولت خيلي ضعيف بود حكم در دست مجتهدين وعمامه ها بود) اي الدولة كانت ضعيفة والحكم كان بيد المجتهدين من ذوي العمائم !

وبعد برهة حول المجتهد وجهه نحوي وقال : بكو أي جوان شما هم بابي هستي - اي قل ايها الفتى أأنت ايضا من البابية ؟ فقلت له : وقد بكيت ، معاذ الله يامولاي اني مسلم موحد وشيعي مؤمن واني لا اعرف البابية ولا اعلم بمعتقدهم ولم اعاشر احدا منهم . ثم قصصت عليه قصتي من اولها الى آخرها وكيف اغواني الدرويش وجاء بي الى خراسان ، واراد هناك عرضي الى غير ذلك وقلت له : ان ابي اليوم في شيراز وانه ينتظر مجيئي فامرني المجتهد بان اسب الباب والبابيين فامتثلت امره فاعتقد بصدق ادعائي ورق لحالي وبينما كان على وشك ان يطلق سراحي قام احد المعممين وهمس في اذن المجتهد بضع كلمات ما عتم ان تغير لونه ونبت على سيمائه آثار الغضب فامر الخدم ان يرجعوني الى السرداب . فبت ليلتي وقد تمشت الحمى في مفاصلي وعظامي وكنت أئن طول الليل انين المحتضر .

وكانت الحكومة الايرانية قد اطلقت للمجتهدين التعذيب والتنكيل بمن يشتبه به انه من الطائفة البابية او يشك في انه ممن ينتمي اليهما فكان المجال فسيحا للمتعادين المتباغضين اذ يبطش احدهم بالاخر وكان المجتهدون لا يترددون طرفة

عين في اصدار فتوى تقضي بالموت على من الصقت به هذه التهمة لذلك تفشت الوشايات فأريقت الدماء وازهقت الارواح وكثرت الضحايا واصبحت البلاد في هرج ومرج وقد بات الناس خائفين على حياتهم مرتاعين من فتاوي المجتهدين الذين كانت اقلامهم امضى من السيف اذ ذاك .

قلت للدرويش (بي بروا) هل تعرف شيئا عن البابية ؟ قال : لا غير اني كنت ذات يوم اتسمع وعظ احد الواعظين في صحن الامام علي بن موسى الرضا (ع) . وكان يقول للسامعين ان البابية فجرة كفرة طغام وانهم جاحدون مارقون عن الدين وانهم يعتقدون بمذهب الحلول الى غير ذلك . قلت له : اتعرف مذهب الحلول ؟ فاجابني بالسلب .

شعر (بي بروا) بالتعب وتصبب جبينه عرقا ، فانقطع عن الكلام . وقال لي سأحدثك ليلة غد بالبقية ان شاء الله وتركته في تلك الغرفة ، فنام فيها ليلته وقد استيقظت في الصباح فلم اجده . وقد اعلمتني الخادمة انه خرج قبيل الفجر من غير ان يفطر .

٢٠ تشرين الثاني

جاءني بي بروا في الساعة الثانية ونصف عربية من الليل فتعشينا معا ثم اشعل سيكارة واتكأ على الوسادة ونظر الي ويسراه تعبث بلحيته الطويلة وقال : بقيت في بيت المجتهد مسجونا نحو شهر واحد ثم جاء نفر من جنود الدولة وساقوني انا مع ثلاثة آخرين الى الحاكم فبقينا في سجن الدولة مدة اسبوعين لم يسألونا شيئا ولم يطلبونا الى الاستجواب والاستنطاق ثم نقلنا محفورين الى مدينة (شروان) .

دوراه خيلي زحمت كشيديم مارا شلاق زدند .

لقد عانينا المشقات في الطريق فقد ضربونا بالسياط . جئنا الى شروان وجلسنا فيها مدة ستة اشهر ثم نقلنا الى مدينة (رشت) وحبسنا فيها مدة تقارب السنتين . ثم اخذنا الى طهران وبقينا في حبس الحكومة سنة واحدة واطلق سراحي يوما على غفلة فتجولت في طهران وانا لا املك قطميرا فراجعت (شواه) توسمت فيه الخير والصلاح وقصصت عليه حديثي من اوله الى آخره فرق

لحالي واستخدمني في حانوته وكان ينفحني في كل يوم قرانا واحدا عدا الطعام والمنام وبقيت عند الرجل مدة تقارب ستة اشهر ارسلت خلالها بعدة مكاتيب الى والدي في شيراز إلّا اني لم اتلق منه جوابا فشعرت يوما كأن القيامة قامت في طهران وان الارض تميد ميدا والناس يموج بعضهم اثر بعض فلما تحققت الخبر علمت ان احد البابية قتل ناصر الدين شاه في مزار الشاه عبدالعظيم وقد انبث الجند في طهران يقبضون على كل من يشك فيه اويشتبه به انه من البابية فاحسست بالشر وعلمت انهم قابضون علي لا محالة فاضطربت كثيرا إذ تراءى لي شبح المنون فأيقنت بالموت . فبكيت طول يومي .

وفي المساء اعطاني ذلك (الشواء) الطيب القلب عشرين قرانا وقال لي : انج بنفسك فخرجت من المدينة خائفا اترقب لاالوي على شيء والمدينة في هول عظيم .

وضعت على رأسي عمامة خضراء لاوهم الناس بانني من السادة العلويين ولادفع عن نفسي الاذى وطفقت انتقل من قرية الى قرية ، ومن بلد الى آخر ، هائما على وجهي وكنت اتعيش من «فتح الفال» . وبقيت على هذه الحالة مدة ثلاث سنوات حتى وصلت الى مدينة (اصفهان) فشاهدت اثناء دخولي البلدة جماعة من اليهود قد رجعوا الى المدينة وقد دفنوا ميتا لهم ورأيت جماعات من الاطفال وبعض الرجال يركضون وراءهم ، يضربونهم بالحجارة فبقيت في اصفهان مدة سنة واحدة وكنت اشتغل كعامل في قهوة . وهناك تعلمت النفخ بالناي وبعد هذه السنة حصل لدي مبلغ غير يسير من الدراهم فشدت الرحال الى شيراز ـ وكنت اتلهف شوقا الى رؤية والدي وامي ـ فوصلتها ... وهنا ارتعد الدرويش (بي بروا) وامتقع لونه وارتجفت لحيته . ثم قال : وقد سالت العبرات من عينيه :

حمد عرض كنتم اغا . ما ذا اعرض لك يا سيدي ، علمت ان والدي ذهب الى طوس ليبحث عني فمات فيها اسفا على فراقي وان اخي الصغير مات وان امي هلكت كمدا وان المجتهد في شيراز وضع يده على اموال ابي وبيته . فراجعت ذلك العالم وطلبت اليه ان يسلمني اموال والدي وبيته فابرز لي وورقة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقال ان والدك جعلني وصيا على ثلث ماله . واما الباقي من تركته فقد صرفتها على الفقراء حيث لم يظهر وارث لتركته . فراجعت حاكم المدينة مع ثلة من التجار فقال لي انه لا يتعرض لشؤون العلماء فرجعت يائسا ثم ذهبت الى ذلك المجتهد مرة اخرى وتذللت بين يديه وشكوت له حالي . وبثثت له آلامي فلم يرق لي وطردني من بيته طرد الكلاب . وهكذا يامولاي اغواني ذلك الدرويش السفيه الخبيث . وهكذا فجعني الدهر بامي وابي واخي وهكذا اغتصب العلماء مالي وملكي وجعلوني مشردا أهيم على وجهي في ارض الله . ابيت تارة طاوي احشائي جوعا ، ومرة انام في الازقة والشوارع . وقد شاء القضاء ان تكون حرفتي الاستجداء ومهنتي التسول . وقد تربيت في احضان العز والدلال وكنت من ذوي الرفاه والجاه . وانا اليوم في حاجة الى قطمير وقد اصبح مصيري بئس المصير . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم واذا اصابتكم مصيبة قولوا انا لله وانا إليه راجعون . . .

ان هذه المصائب والفجائع والكوارث التي المت بي اشعلت في كبدي نار الاسى فصممت على ان اخرج من شيراز الى بلاد اخرى فذهبت الى بوشهر ومن هناك ركبت باخرة الى الهند فصادفت اناسا طيبين في الباخرة وبينهم رجلا كان روضيا (روضه‌خوان) فعلمني قراءة مأتم الحسين (ع) وبعد ذلك وصلت الى مدينة بومبي .

اغا هند ام العجائب است . جمعي كاورا ميپرستند . قومي آتش را ميپرستند هندوها مردهاي خود شانرا بآتش ميسوزانند چيزهاي عجيب وغريب در هند ديدم . سيدي الهند ام العجائب فيها اناس يعبدون البقر وقوم يعبدون النار والهنادكة (الهندو) يحرقون اموتهم في النار . شاهدت في الهند امورا عجيبة غريبة يعجز اللسان عن ذكرها .

وقد وجدت في الهند جماعات من الدراويش الفقراء وهم على جانب عظيم من الزهد والورع ؛ ولم اصادف نصبا ولا اذى . وقد جلت في اكثر مدنها مثل دهلي وكجرات ومدراس وغيرها : ثم سافرت الى جين وماجين — يريد بذلك

الصين ومن اعجب ما شاهدته في هذه البلاد هو ان الصينيات يحبسن ارجلهن في قوالب من حديد لكي تبقى صغيرة وعند الصينيين ان من الجمال الرائع ان تكون الارجل صغيرة ومن الصعب ان يفرق الانسان الرجل من المرأة هناك لان الرجل يرسل شعره المضفور على كتفيه كالمرأة وهم يستعملون الترياق (الافيون) ثم رجعت من هناك الى بلوجستان فافغانستان فالقوقاس وزرت مدينة قونيةوفيها قبر الصوفي الكبير مولانا جلال الدين الرومي الشاعر وحضرت (ذكر المولوية) وهم يدورون على انغام الناي والقيثارة ثم ذهبت الى اسلامبول وهي اجمل مدينة شاهدتها في اسفاري ثم اشتقت الى ان احج بيت الله الحرام وان ازور قبر الرسول الاعظم فشددت الرحال الى مكة فمررت بحلب والشام والقدس الشريف . وبعد اداء فرض الحج وزيارة الرسول قفلت راجعا الى ايران . وفي ايام الحرب جئت الى الشام فبيروت وقد أصبت باذى فيها كما حدثتك قبل هذا وعدت الى ايران ومنها جئت الى « كربلاء » .

ثم تنهد الدرويش (بي بروا) طويلا وقال بلهجة المتألم الحزين : هذه حياتي وهكذا قدر علي ان اعيش متسولا فقيرا مشردا في ارض الله الطويلة العريضة وانا اليوم اعد ساعاتي وانتظر الموت ولست ادري باي صورة يداهمني الحمام أ اقبر في مقابر المسلمين ام اموت عطشا وجوعا في الصحاري ام اكون طعمة للنيران ام فريسة للوحوش . ثم اندفع يتغنى :

أي آنكه زهيچم بوجود آوردي وز سوي عمايم بشهود آوردي

نه نفع زطاعتم نه خسران كناه در سوق جهانم بچه سور آوردي

اي يا آلهي الذي جاء بي من العدم الى الوجود ومن العالم المعمى الغامض الى عالم المشاهدة انت يا آلهي غير منتفع من اطاعتي لك وغير خاسر من ذنبي فلأي جئت بي الى سوق هذه الحياة ؟

قلت للدرويش (بي بروا) كيف كنت تحصل قوتك في اسفارك الطويلة قال تارة انشد الشعر في الازقة والاسواق واستجدي من الناس والناس لا يبخلون علي بشيء من الصدقات . وطورا اصير (فتاح فال) واخرج لي من جرابه كتابا

اكل الدهر عليه وشرب في (الفال) وبعضا اقرأ مأتم الحسين (ع) واخرى اطيب في القرى الصغيرة . قلت له : انت تجهل الطبابة وربما اعضيت مريضا دواء اهلكه أفلا تخشى الله في عملك هذا ؟ قال : ان الادوية التي اصفهـا للمرضى معلومة وتفيد ولا تضر وهي : سنا مكي وبنفشه (بنفسج) وكل كلب زبون اي ورد لسان الثور .

٢١ تشرين الثاني

اجتمع عندي في هذه الليلة بعض ابناء الاشراف وعرفتهم بالدرويش (بي بروا) وكنا نتطارد في الشعر وحفظ الشعر هو ما يتفاخر به ابناء النبلاء في كربلاء والبليد الاحمق في نظرهم من لا يستظهر طائفة من القصائد العربية وتلاوتها كهتهم في مجالسهم التي يعقدونها .

وبينما كنا نتلو شعرا كان الدرويش يكتب شيئا في دفتره الصغير ثم نظر الينا وقد ابتسم ثغره وقال : آقايان من هم شعر درست كردم بشنويد اي سادتي اني ايضا نظمت شعرا فاسمعوا . وقرأ لنا بنغمته الرقيقة المشجية ابياتا اضحكت الحاضرين وهي :

انا الدرويش بي بروا احب النـان (١) والحلوا
حليف الهم والبـلوى اريد المن والسـاوى

ثم اخرج النأي من جرابه وكان يعزف به عزفا مشجيا الى ان مضى هزيع من الليل فانصرف الحاضرون ونام الدرويش ولما كان الصباح فطرنا معا وبعد ذلك انحنى الدرويش على يدي يريد تقبيلها وقال بلهجة الممتن : اشكرك ياولدي وتور عيني فقد شاهدت منك لطفا وكرما عظيمين واني اليوم عازم على السفر الى ايران واني سأدعو لك في صلواتي وتعبداتي وارجو الله ان يطيل في عمرك وان يبارك في رزقك وان يوفقك .

فشكرت الدرويش وطلبت اليه ان يبقى عندي فاعتذر . فاعطيته شيئا من الدراهم وزودته بمتاع فودعني وسافر ولست ادري ما فعل الدهر به . فاسعده الله ان كان حيا يرزق ورحمه الله ان كان ميتا ملحودا !

احمد حامد الصراف

(١) النان هو الخبز بالفارسية .